أرقد الليل ملء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزا زه
لا أبالي من أي كأس تفوقت ولا ما حلاوة من مزا زه
لا ولا أستجيز أن أجعل الذل مجازا إلى تسني إجا زه
وإذا مطلب كسا حلة العار فبعدا لمن يروم نجا زه
ومتى اهتز للدناءة نكس عاف طبعي طباعه واهتزا زه
فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنا زه

ثم رفع إلي طرفه وقال لأمرٍ ما جدع قصيرٌ أنفه فأخبرته خبر ناقتي البارحة
وما عانيته في يومي والبارحة فقال دع الالتفات إلى ما فات والطماح إلى
ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو أنه وادٍ من ذهب ولا تستمل من مال عن
نيلك وأضرم نار تبارٍ بحبلك ولو كان ابن بوحك أو شقيق روحك ثم قال
هل لك في أن نقيل ونحامي القال والقيل فإن الأبدان أنضاء تعب والهاجرة
ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر كقائلة الهواجر وخصوصا
في شهري ناجر فقلت ذاك إليك وما أريد أن أشق عليك فافترش الترب
واضطجع وأظهر أن قد هجع وارتفقت على أن أحرس ولا أنعس فلحظتني
السنة لما رنقت الأسنة فلم أفق إلا والليل قد دجا والنجم قد تبلج

ولا السروجي ولا المبتهج فبت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية أساور
الوجوم وأساهر النجوم أفكر تارة في رحلتي وأخرى في رجعتي إلى
أن وضح عند افترار ثغر الضوء في وجه الجو راكب يخدي في البر فألمعت
إليه بثوبي رجاء أن يعرج إلى صوبي فلم يعبأ بالماعي ولا أوى لالتياعي بل
سار على هينته وأصماني بسهم إهانته فأوفضت إليه لأستردفه واحتمل
تغطرفه فلما أدركته بعد الأين وأجلت فيه مسرح العين وجدت ناقتي مطيته
وضالتي لقطته فما كذبت أن أحدرته عن سنامها وجاذبته طرف زمامها
وقلت أنا صاحبها ومضلها وولي رسلها ونسلها فلا تكن كأشعب فتتعب
وتتعب فجعل يلدغ ويصئي ويتنح ولا يستحيي وبينما هو يبرز ويلين
ويستأسد ويستكين إذ غشينا أبو زيد لابسا جلد النمر وهاجما
هجوم السيل المنهمر فخفت والله أن يكون يومه كأمسه ويدي مثل
شمسه فألحق بالقارظين وأصير خبرا بعد عين فلم أر إلا أن ذكرته
المودة المنسية والفعلة الأمسية وناشدته الله أوافى اليوم للتلافي
أم لما فيه إتلافي فقال معاذ الله أن أجهز على مكلومي أو أن أصل
حروري بسمومي وإنما وافيتك لأخبر كنه حالك وأكون يمينا لشمالك